تفسير إبن كثير

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

يقول تعالى : وكما أرسلناك ، يا محمد ، رسولا بشريا كذلك [قد] بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وقد قال [الله] تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) [الكهف : 110] .وفي الصحيحين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أما أنا فأصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآكل الدسم وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " .وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن مكحول قال : قال أبو أيوب : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " أربع من سنن المرسلين : التعطر ، والنكاح ، والسواك ، والحناء " .وقد رواه أبو عيسى الترمذي ، عن سفيان بن وكيع عن حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن مكحول ، عن أبى الشمال عن أبي أيوب . . . فذكره ، ثم قال : وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال .وقوله : (

وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن االله) أي : لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه ، ليس ذلك إليه ، بل إلى االله ، عز وجل ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .(لكل أجل كتاب) أي : لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها ، وكل شيء عنده بمقدار ، (ألم تعلم أن االله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على االله يسير) [الحج : 70] .وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله : (لكل أجل كتاب) أي : لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند االله ومقدار معين ، فلهذا يمحو ما يشاء منها ويثبت ، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله االله على رسوله ، صلوات االله وسلامه عليه .